الايديولوجي فقد اطلق العنان لكل الفكر المناهض للمنهج العلمي، وشهدت البلاد كل رقصات الفكر الرجعي المهترىء ، والدعوة الى الفكر التيوقراطي المعادي للعلم والمروج للاتجاهات الغيبية، وانتعش الفكر التقليدي والعقلية الشوفينية (٧)، وخرج مهرجو البلاط ليندوا بكل تراث الانسانية العقلاني ، داعين الى العودة الى الفطرة الطاهرة والشعور الصافي· وهكذا بعثت من مراقدها كل المقولات الاظلامية والجاهلية، كل ذلك لتخلق فردا جاهلا ومواطنا معتوها يقبل بالامر الواقع كحقيقة ·

لكن هذا الفكر الاظلامي الداعي الى العودة الى ينابيع الفضيلة والطهر لم يترك ساحة القرن العشرين ، فقد ارتبط بأكثر جوانحها رجعية واظلامية ، فدافع عن تكنولوجيا الغرب وديمقراطية المجتمع الرأسمالي ، بل أصبح مبررا ومدافعا عن كل سقطات المجتمع الرأسمالي · فرأى في فضيحة ووترغيت مؤامرة صهيونية وليس نبراسا لزيف الديمقراطية البرجوازية ، ثم وصل هذا الفكر الرجعي الى أقصى مداه عندما بدأ يبرر السياسة الامريكية وتصريحات ممثليها· فلم تر الاهرام في تهديدات شليسنغر بغزو الشرق الاوسط الا « تهويشا غير جاد » أو « نوعا من تخويف بعض ضعاف الاعصاب »، وعندما يقول كيسنجر بأنه ليس عند الولايات المتحدة اي خطط جديدة أو مقترحات ، ينبري احسان عبد القدوس ليقول « لا شك ان هذا الكلام مجرد كلام دبلوماسي ··· ، وربما اراد به كيسنجر ان يخفي سرا» (٨) · وهكذا فقد تحول النظام الى مبرر بدون شرط لكل السياسة الامريكية ·

أما اذا انتقلنا الى المجال الاقتصادي لما وجدناه يخالف المستويات الاخرى ، فقد استؤصل منه كل القذى الذي يمكن أن يعكر عيون الاحتكارات الغربية ، وجاء الانفتاح الاقتصادي ليصفي كل المنجزات الايجابية ، فدفع بالقطاع الخاص الى مركز الحلبة ، بينما طالب الرأسماليون الجدد بـ « تصفية المشروعات الخاسرة··· مع انسحاب القطاع العام من غير مجالاته » (٩)، وربط الاقتصاد المصري من جديد بالاقتصاد الامبريالي والامريكي منه بشكل خاص · فعند زيارة نيكسون الى القاهرة تم التوصل الى « عقود » اقتصادية بين الطرفين تعطى فيها رؤوس الاموال الامريكية ضمانات مطلقة (١٠)، فتح على اثرها المجال أمام الاستثمارات الخاصة الامريكية في مصر ، ومنذ تلك الزيارة وحتى اليوم أصبحت مصر مجالا مفتوحا أمام الشركات الامريكية ورؤوس الاموال الغربية ·

يبقى لاكمال الصورة عنصر طريف هو صور كيسنجر الملونة التي رسمتها ووزعتها بسخاء الصحف المصرية والقيادات المصرية ، فالدكتور هو رجل سلام ، ودبلوماسي بارع ، ورجل معجزات ، ولم يتورع الرئيس السادات أن يتبع الدكتور الى سيارته ليقول له « سيادة الوزير انت لست صديقي فحسب بل أخي » (١١)، وعندما سأل أحد المراسلين السادات « سيدي الرئيس ما هي نصيحتكم للرئيس الاسد بصدد فصل القوات ؟ » وضع الرئيس يده حول كيسنجر وقال « انني أثق بصديقي هنري · هذا ما أقول للاسد · ثق بصديقي هنري » (١٢)·

ان الدكتور كيسنجر لم يصل الى صيغة سلامه الا بعد أن أعاد حرث التربة المصرية السياسية وجعلها دمنة صالحة لكل الاشواك الامريكية ·

الاتفاقية الجزئية والنموذج التركي ـ اليوناني

تهدف الاتفاقية المصرية ـ الاسرائيلية جوهريا الى تقديم واعتبار اسرائيل كجسم طبيعي في الشرق الاوسط يجب قبوله والتعايش معه، وبذلك فان الاتفاقية تغفر